



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



حَرَكَةُ التَّوَافُقِ الْوَطَنِيِّ الْإِسْلَامِيِّ
Islamic National Consensus Movement



مؤتمر التوافق المنهوي الثالث هيئات المجتمع المدني (NGO'S) و التنمية الوطنية

من الإثنين 10 / 4 / 2006م إلى الثلاثاء 11 / 4 / 2006م
من الساعة الثامنة مساءً حتى الساعة العاشرة والنصف مساءً

الحركات الإسلامية والعلاقة مع الآخر

إعداد

فضيلة الشيخ علي حسن غلوم

إمام مسجد خاتم الأنبياء



حَرَكَةُ التَّوَافُقِ الوَطْنِيِّ الإسلاميَّةِ
Islamic National Consensus Movement



فضيلة الشيخ علي حسن غلوم

السيرة الذاتية .

❖ المستوى التعليمي : خريج الثانوية العامة - الكويت 1983 ، والتحق بالحوزة العلمية بمدينة قم المقدسة في نفس العام ولغاية عام 1991 ، كما التحق بالجامعة الإسلامية المفتوحة بكالوريوس أدب إنجليزي 1989 - 1990 .

❖ الأنشطة التبليغية : إمام مصلى خاتم الأنبياء - مسجد السيد هاشم البهبهاني ، محاضر ومؤلف لأكثر من 30 مصنفاً ، له عدة إنتاجات برمجية و إعلامية مرئية ومسموعة .

الحركات الإسلامية والعلاقة مع الآخر

كيف ينبغي أن يواجه الإسلام الحركي (سواء كان تحت مسمى حزب أو منظمة أو مؤتمر أو حركة أو جماعة .. إلخ) سائر التيارات الفكرية والسياسية الموجودة في صعيد الواقع، على اختلاف مشاربها، فقد تكون في بعض المجتمعات الإسلامية التيارات الدينية المسيحية، والتيارات غير الدينية والتي تنقسم بدورها إلى تيارات قد تقترب من الإسلام في بعض ملامحها وخطوطها وتختلف عنه في الكثير من ركائزها وأفكارها كما في الأحزاب القومية العربية المتنوعة، والتيارات اللادينية الملحدة في تفكيرها الفلسفي والتي تبتعد عن الإسلام من حيث الركائز الفكرية، وقد تلتقي مع حركته في بعض المواقع السياسية، كما في الأحزاب الماركسية المتنوعة، وهناك تيارات سياسية محلية أو إقليمية لاتتعلق من حالة فكرية في العمق، بل تتطلق من واقع محلي أو إقليمي في مستوى القضايا المحلية والإقليمية وربما تأخذ بعداً طائفيًا أو فئويًا أو شخصيًا.

ولو انفتحت الحركة الإسلامية على سائر التيارات، وأقيمت العلاقة فيما بينها، وقبلت بالتعددية في الساحة الحركية، فهل ستكون حركة مصلحة آنية أم مبتنية على قناعات حقيقية؟ بمعنى هل أن خيار الانفتاح خيار استراتيجي قائم على قناعات فكرية، أم حركة تكتيكية آنية مصلحة تهدف للاستفادة من معطيات الواقع، وستتخلى عنها بمجرد تحقيق الأهداف المرسومة؟

شكوك وهواجس:

الباحثة الألمانية والمتخصصة في العلوم الإسلامية "غودرون كريمر" في كتاب [ديمقراطية من دون ديمقراطيين] الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية ضمن بحث بعنوان [الدمج لأنصار الاندماج] تقول:

(هناك في الأوساط العلمانية تشكيك عظيم في صفات الإسلاميين الديمقراطية، فالريية منتشرة بشأن التزامهم القيم الحقيقية للتعددية والتسامح والديمقراطية... والحق أن مواقف التيار الإسلامي العام بشأن المبادئ والقيم الخاصة بالديمقراطية والليبرالية والتعددية هي مواقف غامضة.. هؤلاء يرفضون من حيث الأساس شرعية النظام القائم للدولة والمجتمع ويدعون إلى حاكمية الله وحدها دون غيرها التي تتمثل بالتطبيق الدقيق الجامع المانع للشرعية، ولذلك لايسعهم إلا اعتبار الديمقراطية الليبرالية جزء لا يتجزأ من الغزو الفكري الغربي الذي يرمي إلى إفساد وزعزعة الثقافة والهوية الإسلامية العربية).

ثم عرجت على من أسمتهم بالإسلاميين العصريين فقالت (وباختصار يمكن القول إن الفكر السياسي للإسلاميين "المعتدلين" العصريين يتجه نحو التعددية وليس نحو الليبرالية... مع ذلك تظل الشكوك قائمة عما إذا كان دعاة الديمقراطية اليوم من المعسكر الإسلامي الواسع المختلف العناصر سيستمرون في احترام مبادئ الديمقراطية التعددية وقبول الانتقاد ومنح الآخرين حق المشاركة لو قدر للإسلاميين تولي سلطة الحكم. يشير الناقدون إلى تنظيم هؤلاء الداخلي الي يتميز بقيادة مستبدة وبغياب الشورى وبتضامن الجماعة المفرط "ومن السخرية أن يعد هذا مساوياً للحزبية").

وأضافت لاحقاً (ولكن هذه السمات لاتقتصر على المنظمات الإسلامية بل تتصف بها الجماعات الليبرالية واليسارية، غير أن هذه الجماعات لاتتعرض عادة للمستوى ذاته من الانتقاد).

وقالت: (وتشير الخبرة المكتسبة من مختلف التحالفات ذات القاعدة العريضة في مصر وسوريا والعراق أن الناشطين الإسلاميين يتعاونون مع كافة الأطراف السياسية التي تعلن عن تمسكها بالقيم الدينية عامة وبالإسلام خاصة "كالقوميين والليبراليين والملكيين والبعثيين المنشقين والناصريين... إلخ" ولكنهم يستبعدون عادة دعاة المعتقدات اليسارية "الملحدة"، وعلى رأسهم الماركسيون والشيوعيون. أما التعاون في فترات التوتر الشديد مثل أيام حكم عبدالناصر والأسد أو عند وقوع تهديد خارجي حاد كأزمة السويس في أوائل الخمسينيات وأزمة الخليج في ١٩٩٠/١٩٩١ فينظر إليه على أنه الاستثناء لا القاعدة. لذلك، ورغم التعايش الطويل الأمد والتعاون بين حين وحين تظل العلاقات بين التيارين الإسلامي والعلماني مشوبة بالشك العميق ومسكونة بشبح العنف. هناك ريب عميقة بشأن أهداف الإسلاميين في

المدى البعيد، وهناك شكوك جديدة حول ما إذا كان التزامهم التوجه الديمقراطي هو حقاً "خيار استراتيجي" أم مجرد اختيار تكتيكي لوسيلة أقل كلفة من الكفاح المسلح وذلك للوصول إلى السلطة ومن ثمة إقامة نظام إسلامي غير ديمقراطي دستوره القرآن ومصدر القانون فيه الشريعة).

تباين آراء الإسلاميين:

إن من الخطأ إصدار حكم واحد على كل الحركات والتيارات الإسلامية، فالاشتراك في العنوان العام لا يعني الاشتراك في كل المبادئ والأسس وتفسير النصوص الدينية وطرق التعامل مع الواقع والأهداف المرسومة.

ولذا قد يجد بعض الإسلاميين أن الموقف الإسلامي يفرض على العاملين المقاطعة التامة لهذه التيارات "الكافرة" أو "الضالة" لأن أي شكل من أشكال العلاقة يمثل لوناً من ألوان المادة والموالة اللتين أكد القرآن الكريم على المؤمنين الابتعاد عن تقديمهما للكافرين وللخائنين والمنحرفين في ما جاءت به الآيات الكريمة كما في قوله تعالى (لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ إلا أن تتقوا منهم تقاء ويحذركم الله نفسه وإليه المصير) آل عمران ٢٨، وقوله عز اسمه (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) المجادلة ٢٢،

ومن جهة أخرى فإن العلاقة السياسية مع هذه التيارات تمثل اعترافاً بشرعيتها كفريق سياسي في الساحة الإسلامية، في ما يوحيه بأن له الحق في المشاركة في تخطيط مستقبل البلد وإدارة شؤونه، وهذا أمر غير جائز شرعاً.

كما أنها تفسح المجال للتنفيذ إلى داخل التيار الإسلامي في عملية اختراق أمني أو سياسي مما يعرض حركته للخطر، وأسواره للظهور ومواقعه للاهتزاز، ويؤكد ذلك قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا

لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون، ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ... (آل عمران ١١٨، ١٢٠)

وقد تؤدي إلى إضلال المجتمع المسلم من خلال سقوط الحواجز النفسية التي كانت تحد من الانفتاح عليها، على أثر الأجواء الحميمة التي ستنشأ.

الرأي الآخر:

وفي مشهد آخر نلاحظ رأياً مغايراً تماماً، يتبناه بعض المفكرين الإسلاميين، إذ يعتبرون أن الموقف الإسلامي يفرض إقامة هذه العلاقات في إطار مجتمع متعدد الاتجاهات، الأمر الذي يؤهلهم للاطلاع على حركة الواقع السياسي من الداخل لا من الخارج، ويحقق ثقافة عميقة شاملة للعملية السياسية، ويمكن الحركة الإسلامية من النفاذ إلى عمق التيارات الأخرى مما يسمح بالتأثير أحياناً على قراراتها أو التخفيف من سلبياتها أو تفهم بعض وجهات النظر التي تتبناها الحركة، هذا علاوة على إيجاد الأرضية الكفيلة بتوجيه الأنظار إلى الأهداف الإسلامية الكبيرة من خلال حركة الشعارات المشتركة في الساحة التي تجعل من الإسلام عنصراً حياً فاعلاً يتقدم المسيرة بشعاراته.

ومن جهة أخرى فإن التعامل مع النصوص الإسلامية بتلك السطحية يؤدي إلى تفريقها من محتواها الفكري والعملية العميق والمرتبطة بتغيرات الواقع الذي يعيشه الفرد أو المجتمع. ف "المادة" على سبيل المثال تعني العاطفة القلبية الحميمة العميقة المتمثلة بالإخلاص الروحي النابع من اللقاء الداخلي في الفكر والروح والعاطفة، كما أن "الموالة" تمثل حالة الصلة الواقعية في خط الطاعة والاتباع والاندماج بالآخر، على مستوى الانتماء والإخلاص، بينما العلاقات السياسية مع التيارات الأخرى لاتهدف إلى ذلك كله، بل تسعى للارتباط في علاقة عملية تبحث عن نقاط الالتقاء والأرض المشتركة.

ولا يخفى على المنظرين والمفكرين والعاملين في الساحة السياسية أن الفرق قائم بين الاعتراف بالوجود والاعتراف بالشرعية، فالتسويق والعمل المشترك والالتقاء في المشاريع العامة لا يعني إضفاء

الشرعية، لأنها إنما تتحقق في ما لو قبلنا بالمضمون الفكري لسائر التيارات وما يترتب على ذلك من أهداف ترسمها كل حركة لنفسها، وكل ما تعنيه هو الاعتراف بالوجود، ولذا لا يقول أحد بأن المعاهدة التي عقدها النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع اليهود تمثل اعترافاً بشرعيتهم، كما أن صلح الحديبية لا يمثل عنواناً للاعتراف بشرعية الشرك والمشركين.

أما مسألة الخوف من الاختراق الداخلي والتأثير على الساحة الإسلامية فهو كلام يصح في ما لو لم تعش الحركة الإسلامية حالة التأسيس الفكري لكوادرها، ولم تمتلك المنطق الكفيل بطرح المتبنيات بصورة عقلانية مقبولة لدى المجتمع، ولم تخطط للانفتاح بصورة مدروسة. والآيات الشريفة التي تتحدث عن البطانة فإنما تتحدث عن حالة لصيقة كبطانة الثوب التي تلتصق به وتقويه وتحميه، وهو ما يشير إلى مشاعر الحب العميقة التي قد يحملها المسلمون للأعداء الحقيقيين (المنافقين)، ومن موقع السذاجة العاطفية في ما تؤدي إليه من اطلاعهم على الأسرار وانخداع المسلمين بالظاهر والاستسلام لمخططات المنافقين.

ويخلص هؤلاء المفكرون إلى نتيجة حاسمة مفادها أن الإنغلاق يعني العزلة، والعزلة تعني الابتعاد عن حركة الأحداث بشكل مباشر، مما يعرقل الوصول إلى النتائج العملية على صعيد الهدف، وأن المشاركة في النشاط السياسي والتفاعل مع التيارات المختلفة هو الذي يمكن أن يحقق الكثير من المواقع المتقدمة في الساحة.

حتمية الدراسة المتكاملة للنصوص الإسلامية:

إن تجاهل بعض النصوص التي تتكامل من خلالها هذه الفكرة سيجعل الصورة ناقصة فيما إذا أراد المفكرون الإسلاميون القيام بالتنظير لقضية ذات أبعاد وتأثيرات مختلفة، تتداخل فيها الفكرة بالواقع الموضوعي وبالظروف الضاغطة والتحديات والأولويات والعمل السياسي والتركيبية الاجتماعية والديموغرافية وما إلى ذلك.

ويمكن أن نقول أن قراءة النصوص القرآنية السابقة دون الأخذ بعين الاعتبار ما جاء في الآية التالية، يعد مثلاً واضحاً على ذلك. قال سبحانه وتعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) الممتحنة ٨-، ٩

وأستشهد هنا بنص للمفكر الإسلامي والمرجع الديني سماحة السيد محمد حسين فضل الله حفظه الله تعالى في هذا الخصوص إذ قال في معرض تعليقه على فكرة الآية: (فنحن نرى في الآيتين التحديد الدقيق للسلوك الإسلامي مع الذين يختلفون مع المسلمين في العقيدة، لتكون القضية هي من هو الفريق الذي قاتل المسلمين لفتنتهم عن دينهم، ومنعهم من حرية الدعوة إليه، وإخراجهم من ديارهم بدون حق، ومعاونة الآخرين على ذلك؟ ومن هو الذي لم يقاتل المسلمين، ولم يناصر الآخرين على الاعتداء عليهم؟ فإن الفريق الأول هو الذي ينبغي أن يقاتل ويقاطع ويبعد من أي لون من ألوان التعاطف والموالة، أما الفريق الثاني، المسالم، فهو الذي لا يمانع الإسلام أن يقوم المسلمون برعايته وبالبر به، وبالعدل في التعامل معه في كل شؤون الحياة، وفي كل حركة العلاقات، ومن خلال ذلك يمكن قيام علاقات تعاون بين المسلمين وبين هؤلاء أو لقاء على أكثر من قضية، أو تعاهد على أكثر من ميثاق).

كلمة أخيرة :

وختاماً، إن الانفتاح يعد قضية طبيعية متناغمة مع فطرة الحياة التي عرفت التنوع والتجدد في مناحيها المختلفة، ولذا فإن الإنغلاق يعد حالة استثنائية تفرضها بعض الظروف المؤقتة بتوقيات أسبابها، والاستمرار في الإنغلاق يؤدي في أحيان كثيرة إلى تجميد الخطأ في النفس، ويحوّله بالتالي إلى حالة مقدسة، ويمنع العقل من تطوير الفكرة.

إن ما يقلق بعض الإسلاميين بخصوص حماية الفكرة، لا يصح أن يواجه بالهروب من التحدي، بل بالمواجهة القوية لكل ما يثيره الآخرون حولها من شبهات وإشكالات، لأن ذلك هو الذي يؤكد نقاط القوة،

ويبعدها عن الاستسلام لمواقع الضعف. وهذا لا يعني بالطبع الانفتاح الساذج الذي لا يدرس التحفظات، ولا ينظر للساحة بواقعية، ولا يعرف الظروف الموضوعية المحيطة بالواقع، بل يعني تحصين الموقف في داخله، والعمل على الانفتاح الحذر لخدمة الموقف.